مقارنة تطبيقية عن أثر الحكيم عمر الخيام على الأديبين

صادق هدايت وتيسير سبول

هيام عبود شريف الطرفي
طالبة ماجستير، قسم اللغة الفارسية و آدابها، جامعة الشهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
1heam2017@gmail.com
الدكتور عادل السواعدي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم اللغة الفارسية وآدابها، جامعة الشهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
a-sawaedi@scu.ac.ir
الدكتور محمد رضا صالحي المازندراني
أستاذ مشارك، قسم اللغة الفارسية وآدابها، جامعة الشهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
Mo.salehi@scu.ac.ir

An applied comparison of the impact of the wise Omar Khayyam on writers Sadeq Hedayat and Tayseer Sabul

Hayam Abood
Master Student of Persian Language and Literature in Shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran
Dr. Adel Sawaedi (responsible writer)
Assistant Professor of Persian Language and Literature in Shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran
Dr. Mohamadreza Salehi Mazandarani
Associate Professor of Persian Language and Literature in Shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran

الملخص:-

رباعيات الخيام من أشهر الرباعيات التي ضاع صيتها في العالم وتم ترجمتها إلى لغات عالمية عديدة مما يدل على مدى أثرها على الوجدان الإنساني والعالمي ونحن هنا نحاول أن نلقي الضوء على شخصيتين تأثرتا بأفكار وفلسفة عمر الخيام مما حدى بهما إلى اليأس والتشاؤم وبالتالي كان سبباً في إنتحارهما، ونقصد بهما، الأديب العربي تيسير سبول والأديب الإيراني صادق هدايت ونحاول في البدء التكلم عن عمر الخيام وفلسفته في الموت والحياة مقتطفين هذا الجزء من أفكاره العديدة حيث يعتقد أنه كان له أثراً على إقدام الأديبين على الإنتحار. وسنكتشف مدى صحة هذا الاعتقاد.

الكلمات المفتاحية: عمر الخيام، تيسير سبول، صادق هدايت، فلسفة عمر الخيام، الإنتحار.

Abstract:-

The Rubaiyat of Khayyam is one of the most famous rubaiyat in the world. It has been translated into many international languages which indicates the extent of its impact on the human and global affection (feeling). Here we are trying to shed light on two personalities who were influenced by the ideas and philosophy of Omar Khayyam, which led them to despair and pessimism. Thus, it was the cause of their suicide. We mean the Arabian writer Tayseer Sboul and Persian writer Sadegh Hedayat. In the beginning, we try to talk about Omar Al-Khayyam and his philosophy of death and life, extracting this part from his many thoughts, as it believed that it had an impact on the two writers' suicide. Then, we will try to discover how true this belief is.

Key words: Omar Al-Khayyam, Tayseer Sboul, Sadegh Hedayat, philosophy of Omar Al- Khayyam, suicide.

المقدمة:ـ

أبو حفص أو أبو الفتح غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيام العالم النيشابوري المشهور بالحكيم الخيام الذي يقدر أن تقع فترة ميلاده ما بين سنة ٤٣٠ - ٤٤٠هـ حيث أغلب الظن انه ولد في يوم الخميس من ١٢ محرم ٤٣٩هـ وخُمن وفاته ما بين فترة ٥٠٨ - ٥٣٠هـ وأيضا أغلب الظن أنه توفي في عام ٥١٥ هـ.(همايي،١٣٦٧: ٣)

طبعا عمر الخيام بشهرته العالمية هذه يكون مديناً لأول شخص ترجم رباعياته إلى الانجليزية حيث انتشرت بين الأمم الناطقة باللغة الانجليزية مما أدى إلى انتشار رباعياته في العالم أجمع بحيث قلما نجد لغة عالمية لم تترجم هذه الرباعيات إلى لغتها. الشاعر الإنجليزي ادوارد فيتز جيرالد Edward FilzGerald (المولود في ٣١ مارس ١٨٠٩ والمتوفى في ١٨٨٣م) هو أول من ترجم مجموعةً من الرباعيات في عام ١٨٥٩ حيث شملت في البداية ٧٥ رباعية والتي اكتملت في الطبعة الثالثة لها بـ ١٠١ رباعية والتي أُخذ مضمونها من رباعيات الحكيم عمر الخيام.(مينوي،١٣١٢: الصفحة الثامنة).

لا أحد يدعي أن محتوى رباعيات الخيام هي قواعد حياتية، إلا أن تعبير وبيان الخيام عن أفكاره هو أسلوب يتبعه العظماء والأحرار في العالم وإن كانت هذه الأفكار قوبلت بالطعن والغضب من قبل المتعصبين، إلا أن رباعياته ظلت أعظم من كل هذه التكهنات.(فروغي،١٣٥٤:المقدمة).

تتجلى فلسفة الخيام في رباعياته حيث أنها مجموعة حية من الإبداع لم يتعمد فيها التحليل أو وضع النظريات. وكونها بسيطة ومنسجمة ومسايرة للأمور الطبيعية المحسوسة وأخيراً لما لها من الرصانة في الوضع والأسلوب.. ولم تجد رباعيات الخيام أمامها ما يضاهيها في المتعة الذهنية وايحاء للنفس واثارة العواطف والافكار..

الخيام رجل تخلى عن الدنيا بما فيها وصنع لنفسه عالماً معزولاً عمن حوله ليكون له صحواً ذهنياً رائعاً، خالياً من حماسة الآمال وجلبة الشعور المتوثب... كان الخيام في خلوته وانعزاله عن الناس لا يُحمل نفسه هماً أو نصباً، كان يهتم بمراقبة الظواهر الكونية وفلسفته من هذه الناحية تشبه فلسفة أبيقور في أن الإدراك الحسي هو وحدة القياس الذي نقيس به الحقائق النظرية. (بيومي،١٣٥٩: ١٦)

إلاّ أن ما يربط بين عمر الخيام وسبول وهدايت النظرة التشاؤمية التي تأثر بها هذان الأديبان ويقال إن الخيام تشاطرها مع أبو علاء المعري.

قطعاً أن عمر الخيام ولد بعد ستمائة عام من وفاة المعري وتلك الفاصلة الزمنية من جهة. وتمكن الخيام من العربية وتأثر الأدب الفارسي بالأدب العربي من جهة أخرى يجعل كل باحث يظن بتأثر الخيام بالمعري.

بالتأكيد يعود هذا التشابه في مواضع كثيرة إلى نهل الأديبين من منبع واحد لأفكارهما أكثر من تأثير أحدهما على الآخر وهناك مواضع كان الخيام جسراً لعبور محتوى وأفكار أبو علاء المعري إلى الادب الفارسي.. مع تشابه بعض الجذور الفكرية بين عمر الخيام والمعري إلا انه تلاحظ اختلافات عديدة في شخصيتهما واسلوبهما: رغم امتلاك أبو علاء المعري نظرةً مشابهةً لنظرة عمر الخيام والشاعر حافظ الشيرازي في نظرته للدنيا وعدم استقرارها وأنها مليئة بالآفات والمخاوف، الإنسان فيها تائه حيران. إلا أن بخلاف هاتين الشخصيتين صاحبا النظرة البعيدة، كان يرى الحل في اتباع العقل والزهد ومتاع الآخرة، في حين الخيام والحافظ اللذان لم يؤمنا الا بعالم المادي وكانا يعتبران العقل بلاء للراحة وسببا لوسواس النفسي لدى الانسان وكانا يشككا في نهاية الانسان، فهما يشجعان الانسان على اغتنام الفرص من اجل المتعة والسعادة (سيدي، ١٣٨٩: ١١٩-١٢٠).

فلسفة عمر الخيام:

كان الخيام شاعراً وفيلسوفاً، فكل ما يمر بقلبه الحزين أو يخطر بذهنه ذو البعد الفكري من الأفكار والخواطر كان يُصبه في قالب الرباعيات، ولكن الشعر عالماً آخر، عالم الآلام والأحزان، عالم الياس والآمال، فكل ألم هو جرح يهز نياط قلب الشاعر ويبكيه. في هكذا عالم تخرج أحاسيس الخيام من قلبه وتظهر في رباعياته وخيام الشاعر ليس ببعيد عن خيام الفيلسوف، فمضمونه الانساني والثوري ضد أرباب الجور والظلم والزيف في رباعياته تتطابق مع أفكاره الفلسفية حول الموت والحياة وسر الدهر.

إن رباعيات الخيام تحمل طياتها الطرافة وخالية من التكلف والتصنع، بعيده عن الإيهام والإستعارة وزخرف الكلام مليئة بالفكر والاحساس.

إن لطبع الخيام الثائر وكبريائه وقلبه الحساس والحزين الذي نشاهده بوضوح في أشعاره

العربية ورباعياته الفارسية لم يسمح أن ينشد أشعاره حسب أسلوب شعراء الهزل وطالبي المال ولم ينثر لألئ الكلام تحت أقدام الخنازير القذرة.

لهذه الرباعيات لمسة طيبة وشغفاً آخر، لا نجد فيها تكلفاً ولا تصنعاً ولا إيهاماً، حيث القارئ يغوص في باطن معناها وأفكارها دون الحاجة إلى التوقف على مستوى اللفظ والصورة فهي تتمتع بوحدة هيكلية وتماسك منطقي بحيث يمكن التعرف عليها من خلال هذه الوحدة.

في كل رباعية نجد المصارع الثلاثة الأولى كأنها تمهيد للنتيجة آتية كضربة قاضية في مصرعها الرابع وكقضية منطقية توصل اليها الحكيم من خلال استنتاجه لأحكام أخرى. لهذا السبب لا نجد في رباعيات الخيام مصرع بلا هدف أو ركيك، وتجد قلةً من الشعراء استطاعوا أن يصوروا معاناة الإنسان بهذه الصورة المختصرة والناجعة.

موضوع التشاؤم والشك هو المحتوى الذي نجده في رباعيات الخيام وهو السم القديم المغموس بالهم والذي منذ الأزل جعل مذاق المتفكرين مراً كالحنظل، فمنذ القدم حينما كان الإنسان يبتعد عن ضوضاء الحياة اليومية ويعتزل الآخرين كي يتأمل نفسه والعالم من حوله ظهرت على ملامحه تجاعيد التشاؤم وملئت نظراته بأمواج من القلق والحيرة.

صحيح أن هذا العالم مليء بالخير والشر والحزن والفرح واليأس والأمل معا لكن نسبة المظلومين والمضطهدين والمساكين أكثر بكثير من السعداء.. فلماذا يمتزج علو وعمق الإبداع مع الهم والغم في هذا العالم المتناقض، في حين يقترن الفرح مع البلاهة والدونية؟! هل لأن الحزن هو مظهر المعرفة فيدرك ضيق وعجز العالم ونقصه؟!

اذن لهذا السبب نجد المتشائمين هُم ممن يُشكلون معظم رواد ساحة الإبداع والفكر، أولئك اللذين بكوا بعيونهم البريئة والحريصة على آلام البشرية، القلقون على تدهور المجتمع الجزعون كثيراً على تلك الأوضاع.

إذا تتبعنا حكماء اليونان اللذين تأثر الخيام بهم أو قد يكون سار على دربهم أمثال هراكليتوس الذي كان يبكي من شر البشر على البشر وقد لازمته الكآبة والملل جراء تلك الحالة وبذلك اشتهر بالحكيم الباكي مما جعله يعتزل الناس ويهيم في الوديان. وديموقراط هو الآخر كان حكيماً متشائماً الذي اختار الضحك بدل البكاء للتعبير عن تشاؤمه وقد اعتزل الناس واستهزأ بالبشر وهكذا يكون انتقام العرفاء من الجهال السذج. إضافة إلى حكماء

اليونان المتشائمين نجد أيضاً حكماء وفلاسفة مسلمين وعرب يحملون تلك النظرة التشاؤمية أمثال محمد زكريا الرازي وأبو علاء المعري اللذين سبقا الخيام في قلقهم على الضعفاء من الناس وتعاستهم، فالرازي كان يعتقد أن الشر والقبح يملؤ العالم أكثر من الخير والجمال، وأبو علاء المعري هو الآخر كان غارقاً في التشاؤم وما كان يرى حلاً لهذه الدنيا إلا من خلال الموت. (جاوشي، ١٣٥٨: ٩-١١).

فهل الخيام وقع تحت تأثير أبو علاء المعري؟

ما يُنقل عن الخيام أنه كان في بعض الأوقات يُلقي نظره على أبيات أبو العلاء المعري وحصل أن قرأ بعض أبياته في إحدى المجالس الفريدة:

نبيٌ من الغربان ليس على شرعٍ ... يُخبرنا أن الشعوب على صدعٍ

أصدقهُ في مريةٍ وقد امترت ... صحابة موسى بعد آياته التسع

هذه الأبيات ذكرت في شروح سقط الزند، ويحوي هذا الكتاب حوالي ٥٧ بيت وهذه الأبيات تذكر عند العرب من باب الفأل السيء.

على أي حال لو فرضنا أن الخيام قد طالع مؤلفات المعري إذن سوف تطرح أمامنا مسألة أخرى وهي ماذا استفاد الخيام من أبي علاء المعري؟ أي بتعبير آخر، شخصية بمقام يضاهي بن سينا وهو عالم رياضيات وفيلسوف ماذا يمكنه أن يكسب من شاعر؟! (جعفري،١٣٧٥: ٣٨).

يذكرُ الصراف في كتابه عمر الخيام: خلال مطالعتي لرباعيات الخيام كنت أشعر بوجود نسب وعلاقة فكرية وثيقة بين الخيام والمعري وكلما تعمقت في دارسة أقوال الخيام ازدت يقيناً بوجود هذا الشبه بين هاتين القامتين العظيمتين، وإن نشأ توأمان في حضن أب وأم وتلقيا نفس التدريس وتربى على نفس التربية ومرا بنفس الظروف وتماثلت فيهما الاخلاق والطباع والاقوال والآراء لقلنا الخيام والمعري أخوان شقيقان وفرعان من نفس الغصن شاءت إرادة الله أن يشتركا ويتقاربا في فكرين متشابهين.

فمن غريب الصدف أن الحكيمين متماثلين في الأخلاق تجمعهما صفة ضيق الصدر واعتزال الناس مستخفين بعقائدهم ومبادئهم وكلا الحكيمان بغضا الدنيا،...(الصراف، ١٣٥٠: ١٦٠).

وذكر الصراف بعد ذلك عدة عناصر متشابه بين الحكيمين ليصل إلى عنصر التشاؤم الذي يعنينا في هذا المقال ويكمل قائلاً: أن سيرة الحكيمين وشعرهما وآرائهما في الكون تدل على أن الحكيمين كانا متشائمين متألمين ناقمين على الحياة وما فيها من شرور وآثام وأن ما يوجد فيها هو مجرد شر وبلاء وطباع فاسدة وأن شرها أكثر بكثير من خيرها وبؤسها أشد من أفراحها.

التشاؤم (مرض روحي) ابتلى به كثير من الفلاسفة والمفكرين ذوى المزاج العصبي وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين وشاع في الشرق واعتنقه معظم الحكماء فكان صانع أحزانهم وأوجاعهم.. وإن أبا علاء المعري الذي تشير كلماته وأقواله إلى طبعه العنيد وريبته في وجود خالق للكون وفي حيرة من علة الخلق وكيفية الوجود والفناء مشككاً في العقيدة والحشر والنشر ويوم القيامة، من الطبيعي أن يكون شخصاً متشائماً وأن تلمس صيحاته الأليمة وصرخاته الحزينة عند قراءة لزومياته.

فهذه الآراء التي ضاق بها صدره والمصائب التي نزلت عليه من فقدان البصر وموت ذويه وفاقته أضرمت نار التشاؤم واليأس في قلب هذا الشاعر الحكيم مما آل به لسب الأديان وهجو الأنبياء وشتم الناس قابعاً في قعر داره تتلاطم به أمواج الشكوك والبؤس وهو من قال:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد.

وقوله:

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسال عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي ... وكون النفس في الجسد الخبيث

وقد تزاحمت تلك الأفكار في رأس الخيام كما تزاحمت في رأس صاحبه المعري وكان الشؤم واليأس ملازمان لروحه استحوذا على إحساسه وشعوره حتى وصل إلى كرهه للحياة وتشاؤمه منها قائلاً:

كر آمدنم بمن بدي نامدي

ور نيز شدن بمن بدي كي شدمي

به زآن نبدي كه اندرين عالم خاك

نه امدي نه شدمي نه ندمي

لو كان مجيئي باختياري لما جئت ولو كانت خلقتي بيدي لما رغبت أن أخلق، الأفضل أنني لم أكن في هذا العالم ولم أجئ إليه ولم اخلق ولم ابق فيه. (الصراف،١٣٥٠: ص١٧٤- ١٧٨).

وقد بحث على دشتي رباعيات الخيام بتفصيل قائلاً: إذا تأملنا الـ ٣٦ رباعية أكثر من باقي رباعياته يمكن أن نثق بانتسابها إلى عمر الخيام سنصل إلى حقيقة مدهشة وهي أن الخيام كان يفكر بشكل مستمر بهاتين القضيتين (الموت والحياة) وحتى يمكننا القول ان هذين العنصرين كانا محور أشعاره ففي أكثر من عشرين رباعية تكلم فيها مباشرة عن الموت والحياة وما يُقارب عشرة رباعيات تتكلم عن الوجود والعدم، لماذا نحيا؟ وما الغاية من الحياة وقد ولدنا بدون إرادتنا ونعيش بدونها ونموت بدونها أيضاً؟ لما أتينا ولما نذهب عنها؟ وما هو الوجود بالأساس؟!...(دشتي، ١٣٧٧: ١٣٧٧).

تيسير أسبول:

بعيداً عن الإطار التقليدي في تقديم الشخصيات و بخاصة الأدبية منها كان لتيسير سبول نشاطاً واسعاً ومهماً في حقل الأدب والفكر والنقد والمسرح والدراسات السياسية والفن والمقالة. زخر به عمر تيسير الذي لم يتعدى الأربعة و الثلاثين عاماً منذ ولادته عام ١٩٣٩م وحتى أطلق على نفسه رصاصة الاحتجاج و الانتهاء من هذه الدنيا عام ١٩٧٣م. ويفرض السؤال التالي نفسه، وهو: لماذا اختار تيسير الانتحار في هذا العمر المبكر، أيعود ذلك لانتحار شعراء مهمين في مثل هذا السن؟ أم لقلقه الإنساني؟ أم للأوضاع في الوطن العربي؟ السياسة و العسكرية التي خذلت الإنسان العربي فكيف بأصحاب الحسّ المرهف، الذين يتألمون لأدنى حدث بسيط. والذين يتعمق في دواخلهم الصراع بين الحياة والموت والقلق المشحون بالتوتر من نزيف الأمة الدائم، وانهياراتها المتتالية؟ وكيف لا؟ وقد كان معجباً بثقافات الشعراء الذين ماتوا انتحاراً. وكان على صلة حميمة بشعراء الصوفية و فلسفتهم عن الحياة الآخرة بعد الموت. وعن قضايا متعددة راسخة في فلسفة الصوفية حتى مسألة الموت والعذاب غير مادي. ولعل ما يؤكد ذلك عشقه لقراءة الكُتاب والشعراء المنتحرين، وإعجابه بالأدباء القتلى والمنتحرين. (المناصرة، ٢٠٠٧: ٤٦٢).

وقد جرب أديبنا حظه بحذر شديد مع الصوفيين، وبعد ذلك عزز علاقته ببعض

الصوفيين وحظى بالقليل من الراحة النفسية في تلك الفترة.. ولجأ إلى قدرية أوسفالد شبينغلر محاولاً إيجاد بعض الهدوء.

بعد ذلك كتب مخطوطةً في الفكر القومي - هذا المخطوط الذي يقوم على الإيمان بقدرية انتصار العربي - مستنجداً بكل ما في جعبته من شواهد لتأييد ما ذهب اليه بغاية إقناع نفسه والآخر. تمسك سبول بهذه الفلسفة، فربما يكون فيها سلام لروحه المتعبة والشاقة بأي ثمن.. لكن في الحقيقة، عاش حالة من الازدواجية الفكرية منذ وقوفه على أبواب تلك التجربة، إذ قرأ القرآن بصوته الأجش وفي نفس الوقت استمر في الغناء - يا بابا بدي انتصار- في حين لم تنعكس الصوفية على مسلكه واخلاقه بشيء وكان يتسكع مع الشباب ويجاملهم في المأكل والمشرب، ولم تستطع الصوفية التغلب على فكره وطمس خلفيته العملية إلى الأبد. إضافةً إلى ذلك، لم تستطع الصوفية قلع جذوره من حياته اليومية ومعاناته واهتماماته، بما في ذلك الأوضاع السياسية والإجتماعية التي كانت سائدة في الأمة العربية آنذاك. لهذا نراه يخرج من صوفيته كالثور، يركض من بيت إلى بيت ويتحدث بحرارة مع أصدقائه، وهو يشم روائح الفرح من بواريد تشرين ١٩٧٣. يا لها من حرب، حرب أثارت المشاعر، كانت تلك الحرب عاصفة حقيقية ولا شك في أن تيسير سبول قد إهتاج في أيامها الأولى ورقص طرباً لها وجاب الطرقات فرحاً... ثم ماذا؟ ففي الخامس والعشرين من تشرين الثاني أي بعد عشرين يوماً من وقف إطلاق النار في تلك الحرب صوب سبول رصاصة على جبهته وانتحر. (الأزرعي، ٢٠١١: ل).

صادق هدايت:

ولد صادق هدايت في ٢٨ فبراير١٢٨١هـ (١٧ فبراير١٩٠٣م) في طهران. كان والديه من نسل رضا قولي خان هدايت، شاعر وكاتب ومؤرخ في الفترة القاجارية.

التحق صادق هدايت في عام ١٢٨٧ ش (١٩٠٩م) بالمدرسة العلمية بطهران وبعد إتمامه المرحلة الإبتدائية أكمل المرحلة المتوسطة عام ١٢٩٣ ش بمدرسة دار الفنون. في منتصف تلك الفترة، بعد انقطاع لمدة عام بسبب مرض في العين، تابع دراسته في مدرسة سانت لويس بطهران من عام ١٢٩٦ش (١٩١٨م) خلال تلك الفترة كتب هدايت بقلمه القوي كتاب «الإنسان والحيوان» و«مقدمة في رباعيات الخيام». بعد تخرجه من هذه المدرسة عام

١٣٠٤ش (١٩٢٦م)، استعد هدايت تدريجياً للسفر إلى الخارج لمواصلة المعرفة على الجانب الآخر من الحدود. وبهذه الطريقة ذهب مع بعض الطلاب الإيرانيين الآخرين إلى بلجيكا ثم في عام ١٣٠٥ش (١٩٢٧م) سافر إلى باريس. خلال تلك الفترة درس في مجالات متعددة مثل طب الأسنان والهندسة والعمارة، ولم يستجب أي منها لروحه وروح البحث والإبداع التى فيه ولربما تسببت هذه الارتباكات في محاولة انتحاره لأول مرة عام ١٣٠٧ش (١٩٢٩م) بالقرب من باريس في نهر مارن ولكن بمساعدة ملاحين، باءت محاولته بالفشل.

خلال إقامته القصيرة في بلجيكا، كتب قصته غير المكتملة «الموت» والتي يمكن اعتبارها أول عمل أدبي له. وقام بنشر تلك القصة لأول مرة في فبراير ١٣٠٥ في مجلة «ايرانشهر» (طبعة برلين). ثم نُشرت لاحقًا في عام ١٣٣٣ في مجموعة بروين بنت ساسان.

في بداية إقامته في باريس، كتب مقالًا بالفرنسية عن السحر في إيران، نُشر في مجلة لوفال ديس بعد سنوات. (جودرزي، ١٣٣٣: ٦-٧).

يقول فرزانة في تعارفه مع صادق هدايت: إذا اعتبرنا أنه تم نشر مئات المقالات والكتب حول صادق هدايت باللغات الحية، وخاصة باللغة الفارسية، فقد تم تحويل العديد من أعماله إلى أفلام، وتم إنتاج العديد من البرامج الإذاعية عنه. وتم طباعة الرسائل الخاصة به، وكُتب أقاربه وأصدقاؤه ومذكراتهم حولهم، ووصف العديد من المؤلفين حياته وظروفه... (فرزانه، ١٩٨٨: ١٤)

تعتبر السنوات الأربع والنصف التي مرت على هدايت في أوروبا وخاصة في فرنسا وباريس فترةً مزدهرة فخلال تلك الفترة تعلم تقنيات الكتابة وفهم القضايا الفنية والاجتماعية والفلسفية حيث وجد شخصيته النهائية. (فرزانه،١٩٨٨: ٣٦)

تيسير سبول وعمر الخيام:

قام سبول في عام ١٩٧٠م بترجمة مختارات من رباعيات الخيام على أساس الترجمة الانجليزية لفيتز جيرالد إلى العربية وعمل على نشرها قبل إنتحاره في مجلة الاذاعة والتلفزيون الاردنية وفي بعض الصحف الأردنية وبعدها قام د/ سليمان الازرعي بنشر مجموعة أعمال الشاعر تحت عنوان خياميات ويعرفها كالتالي: «الخياميات هي عبارة عن رباعيات عمر الخيام التي قام تيسير سبول إلى ترجمتها من الانجليزية لفيتز جيرالد ولم يستطع إكمالها».

كان أول ما تعرف واهتم سبول برباعيات الخيام عام ١٩٧٠. حيث نشر سبول في هذا العام ست رباعيات في مجلة دائرة التلفزيون الأردنية (رقم ٧) وقام المدير المسؤول لهذه المجلة بنشر هذه الرباعيات مع مقدمة منه ذاكراً فيها: «هذه الترجمة الشعرية، هي ترجمة جديدة من رباعيات الخيام إلى العربية والتي قام بترجمتها الشاعر الأردني تيسير سبول وسبول قبل أن يتمسك بظاهر الألفاظ والكلمات اهتم بانعكاس أفكار ورؤية عمر الخيام». لقد واصل سبول ترجمة الرباعيات حتى أكمل ترجمة ٢٩ رباعية.

ومن الصعب أن نحكم بأن الشاعر الأردني اكتفى بتلك المختارات من الرباعيات أو كان ينوي ترجمة جميع ما ترجمه فيتز جيرالد إلى العربية. ولكن من المحتمل أن سبول كان ينوي الترجمة الكاملة ولكن موته المبكر منتحراً سلب منه هذه الفرصة.(ربابعة، ١٣٨٣: ٨٥).

صادق هدايت وعمر الخيام:

قد لا يعلم البعض أن هدايت كتب في عمر الخيام كتابين أولهما بعنوان رباعيات عمر خيام وذلك في عام ١٣٠٣ ش ١٩٢٥م) حيث كان عمره ٢٢عاماً وأهدى نسخة منه إلى أخيه عيسى هدايت. وهو كتاب يشمل السيرة الشخصية لعمر الخيام وهي السيرة التي نراها في أغلب الكتب الخاصة برباعيات الخيام حيث يُعرف الخيام كمُنجم وعالم رياضيات وفيلسوف كان يمارس هوايته في قول رباعياته أثناء وقت فراغه. وكتابه الثاني بعنوان «ترانه-هاي خيام» (أناشيد الخيام) وهو كتاب يدل على حقيقة خاصة بهدايت وهي تتبعه لعمر الخيام بشكل اوسع. كتابه الثاني الذي جاء بعد كتابه الأول بعشر سنوات أي سنة ١٣١٣ش ما هو إلا دليل على اهتمام هدايت بعمر الخيام.(هدايت، ١٣٨١: ٩ ـ ١٠)

إن مجموعة رباعيات الخيام من نوادر الكتب التي قد تكون تعرضت لموجة من النفور والصد والتحريف والبهتان، وبذلك حصلت على شهرة عالمية كبيرة ورغم ذلك بقيت مبهمة. وإذا جمعنا كل ما كُتب في عمر الخيام لاحتجنا إلى مكتبة ضخمة كي تضم كل هذه المؤلفات. في حين ما يوجد من رباعيات تحمل إسم الخيام، تكاد لا تتعدى من ثمانين إلى ألف ومئتي رباعيةً تقريباً، إلا أن جميع هذه الرباعيات تُعد ديواناً يحوي أفكاراً مغلوطة ومختلفة، في حين لو تصفحنا هذه الرباعيات من باب متعة القراءة سوف نكتشف فيها الافكار المتضاربة والمضامين المتعددة والمواضيع المختلفة قديمةً وحديثةً بحيث إذا اعتبرنا

شخص ما عاش لمئة عام وهو يغير عقيدته ومشربه مرتين في اليوم طوال فترة حياته من المستحيل أن يتمكن من قول هذا الكم من الافكار المطروحة التي نسبت اليه.

إن المحتوى الفلسفي والعقائدي لتلك الرباعيات تشمل: الإلهيات، الطبيعة، الدهرية، العرفان، التفاؤل والتشاؤم، التناسخ، الشهوة والمادية والإلحاد، التعبد والادمان و...الخ، يا تُرى هل من الممكن لشخص أن يمر بكل تلك المراحل المختلفة ومن ثم يكون فيلسوفاً ومنجماً وعالماً للرياضيات؟! إذا ماذا نفعل أمام تلك المعضلة؟

إذا رجعنا إلى ما كُتب عن الخيام في الكتب القديمة أيضاً نصادف نفس المعضلة وإختلاف الآراء في ما يخص فكر وعقيدة هذا الشاعر العالمي.

إن الافكار العظيمة دائما ما يحوم حولها هكذا صراع، ولكن الخطأ يكمن في أن الخيام لم يُقرأ كما يجب والأوهام التي أشيعت حوله هي التي سببت تلك المعضلة في تحديد الرباعيات العائدة له... فإلى الآن أقدم مجموعة أصلية من رباعيات الخيام نسبت إلى نسخة «بودلن» أكسفورد التي كتبت عام ٨٦٥هـ في مدينة شيراز، أي بعد ثلاثة قرون من وفاة الخيام وتحتوي على ١٥٨ رباعية، ولكن نوعاً ما أيضاً لاقت نفس الإشكالية السابقة، حيث وجدت رباعيات بعيدة عن الخيام طريقها إلى مجموعة رباعيات الخيام.

ويتز جيرالد الذي يعد فيلسوفاً عظيماً بالإضافة إلى كونه مترجماً هو أيضاً أدخل إلى رباعيات الخيام أبيات لا يجوز أن تُنسب إلى الخيام ورأيه يعد أهم من شروحات الكتب القديمة في الخيام حيث إستطاع من خلال ذوقه الشعري وشامته الأدبية وبشكل أفضل من نيكولا المترجم الفرنسي أن يحدد الرباعيات الأصلية للخيام حيث وصف نيكولا الخيام بأنه شاعراً صوفياً، معتقداً بأن الخيام جسد الحب اللهي في لباس الخمر والنادل، ومن هذه الترجمة المغلوطة استطاع متذوقاَ آخر باسم «رنان» أن يتعرف على الخيام الحقيقي.

الوثيقة الوحيدة المهمة من رباعيات الخيام التي في متناول يدنا، هي رباعيات الثلاثة عشر لـ(مؤنس الأحرار) التي كُتبت عام ٧٤١هـ ونسخت في خاتمة الكتاب رباعيات (روزن) وطبعت في برلين.

هذه الرباعيات بالإضافة إلى قدمها التاريخي تتناسق مع روح وفلسفة وأسلوب الكتابة

للحكيم الخيام... إذن لا شك في أصالة تلك الثلاثة عشر رباعية والأثنان الباقيان في مرصاد العباد والتي واحدة منها مكررة وأيضا يتضح أن قائلها لديه فلسفة وأسلوب وفكر معين يبين لنا أننا أمام فيلسوف مادي (ماترياليسمي). وبكل ثقة نستطيع أن نعتبر هذه الرباعيات الأربعة عشر صدرت من الشاعر نفسه ونعتبرها مفتاحاً لمعرفة باقي رباعيات الخيام... فلسفة الخيام أبدا لم ولن تفقد حداثتها، لأن تلك الرباعيات في الظاهر بسيطة ولكن غنيةً بمفهومها، تضم جميع المسائل الفلسفية المهمة والمبهمة التي حيرت الانسان وفرضت عليه أفكاراً وطرحت أمامه أسراراً لا حل لها.

الخيام هو ترجمان كل العذابات الروحية، فصرخاته إنعكاساً للآلام والإضطرابات والمخاوف والآمال ويأس الملايين من الأجيال التي عانت أفكارهم باستمرار. الخيام سعى بشكل صريح في رباعياته ومن خلال لغة وأسلوباً منفرداً عن الكل أن يُحل كل تلك المسائل والمبهمات، فخلف تلك الضحكات العصبية والمنفعلة تكمن مسائل دينية وفلسفية يقوم ببيانها ويطرح لها حلاً محسوساً وعقلياً.

وبشكل مختصر رباعيات الخيام هي مرآة لكل إنسان وأي شخص حتى لو كان غير ملتزم أو لا يبالي سيجد جزءاً من أفكاره أو يأسه أو خيباته أو صدماته في تلك الرباعيات ونستنتج من تلك الرباعيات مذهباً فلسفياً يجلب اهتمام علماء الطبيعة ونبيذ الخيام المر كلما مر عليه الدهر أصبح أفضل، لهذا رباعياته لها معجبيها في كل انحاء العالم. (هدايت،١٣٩٦: ٣٦-٩٨).

جميع الشخصيات القصصية لهدايت تكون بنحو أو آخر أسيرة بقدر مشؤوم يتعقبها كالظل وكأنها لا تجد خلاصاً من الموت وتستسلم عاجزة أمام عقيدة الخيام... ومع التحقيق العميق في قصصه سنكتشف بكل سهولة جذور القدرية في أعماله التي ليست منفصله عن نظرة الخيام للوجود.(قرباني، ١٣٧٢: ١٣٠)

النتيجة:ـ

مما تقدم يؤكد وجود تأثر كل من سبول وهدايت بأفكار وفلسفة عمر الخيام ولكن هل فعلاً هذا التأثر كان سبباً في إقدامهما على الإنتحار؟ بالنسبة لسبول بعد تأثره بأفكار وفلسفة الخيام قد يكون تأثر مباشرة برباعياته كونه انتحر بعد ترجمته لتلك الرباعيات.

أما بالنسبة لهدايت فهذا الأمر يكون بشكل غير مباشر كونه كتب عن خيام مرتين ويبعد انتحاره سبعة عشرة عاما عن كتابه الأخير عن الخيام « ترانه‌هاي خيام» (أناشيد خيام) ومن الطريف أن أي فكر تشاؤمي للخيام لم يدفع الخيام نفسه ولا من تأثر الخيام به (أبو علاء المعري) إلى الانتحار بل العكس ففلسفة الخيام هى إستغلال كل لحظة من الحياة في الفرح والخمر والسهر وعدم إضاعة المتعة على أمل الفوز بعالم مليء بالحور والخمر إلى آخره من ملذات لا ترى بالعين.

قائمة المصادر والمراجع

١. همايي، جلال الدين (١٣٦٧ هـ.ش): رباعيات خيام، تهران، نشر هما
٢. مينوي، مجتبى (١٣١٢ هـ.ش): نوروزنامه، تهران، مطبعة روشنايي
٣. فروغي، محمدعلي (١٣٥٤ هـ. ش): رباعيات خيام، تهران، انتشارات امير كبير
٤. بيومي، عبدالحميد سامي: «عمر بن ابراهيم الخيام حياته وفلسفته»، نشرية الثقافة (١٦ رجب ١٣٥٩هـ العدد ٨٦) ص ١٦.
٥. – سيدي، سيد حسين: «بررسي تطبيقي مفهوم مرگ در انديشة ابو العلاء معري وعمر خيام نيشابوري»، نشرية ادبيات تطبيقي (بهار ١٣٨٩ شمارة ٢)، ص ١١٩- ١٢٠
٦. جاوشي، جعفر آقايان (١٣٥٨ هـ.ش): حكيم عمر خيام نيشابوري، تهران، انتشارات انجمن فلسفة ايران
٧. جعفري، محمد تقي (١٣٧٥ هـ. ش): تحليل شخصيت خيام، تهران، مؤسسة كيهان
٨. الصراف، احمد حامد (١٣٥٠ هـ): عمر الخيام، بغداد، مطبعة دار السلام
٩. دشتي، علي(١٣٧٧ هـ.ش): دمي با خيام، ايرانشهر، انتشارات اساطير
١٠. مناصرة، عزالدين(٢٠٠٧): جمرة النص الشعري، الناشر دار مجدلاوي
١١. الازرعي، سليمان (٢٠١١): الاعمال الكاملة تيسير سبول، عمان، دار بن رشد
١٢. جودرزي، سيمن دخت (١٣٩٤ هـ.ش): پژوهشگري به نام صادق هدايت،ناشر دييجيتال مؤسسة نكارش الكترونيك كتاب.
١٣. فرزانه، م. ف (١٩٨٨م): آشنايي با صادق هدايت، باريس
١٤. ربابعة، بسام علي: «تاثير خيام بر تيسير السبول، شاعر اردني»، نشرية نلمة پارسي(١٣٨٣، شمارة ٣)، ص٨٥.
١٥. هدايت، جهانغير(١٣٨١): خيام صادق، تهران، نشر چشمه
١٦. هدايت، صادق(١٣١٣ هـ.ش): ترانه‌هاي خيام، نشر تدبير
١٧. قرباني، محمد رضا (١٣٧٢): نقد و تفسير آثار صادق هدايت، تهران، نشر ژرف.